الفصل الخامس

الإيمانُ بالملائكة
ركنٌ من أركانِ الإيمانِ

الفصل الخامس

الإيمان بالملائكة ركنٌ من أركان الإيمان

خَلَق اللّهُ في هذا الكون البديع، مخلوقات عديدة، بأشكال وصور عجيبة، خلق (الإنسان، والحيوان، والطير، والنبات، وخلق الزواحف، والأسماك، والوحوش)، وغيرها من المخلوقات، وكلُّ هذه في العَالَم السفلي (الأرض) وهناك مخلوقات في العَالَم العلوي (السماء) وهم الملائكةُ الأطهار الأبرار، الذين أخبر اللّه تبارك وتعالى عنهم في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

ما هي حقيقة الملائكة؟

الملائكة مخلوقاتٌ تختلف عنّا في الصُّورة، والشكل، ويختلفون عنّا في الوظائف والأعمال.!

الملائكة (أجسام نورانية) أي خُلقوا من نور، قادرون على التشكل بأيّ صورة شاءوا، لا يأكلون ولا يشربون، ولا ينامون، يسبّحون الليلَ والنهار لا يفترون.

ليس فيهم ذكور ولا إناث، ولا تناكحٌ ولا تناسل، وإنما يخلقهم اللّه ابتداءً، خلقاً مستقلاً؛ بأشكال وصور هائلة، لا يتصوّر العقلُ البشري فخامتَها ولا عظَمتها!!

منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أكثر من ذلك، استمع إلى قول اللّه عزّ وجلّ عنهم:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

هذا في عامة الملائكة، منهم من له جناحان، ومنهم من له أربع، ومنهم من تزيد أجنحته على ذلك، أمّا جبريل عليه السلام، فتصوّرْ عَظَمةَ خَلْقه، من كثرة أجنحته.

فقد روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (رأى رسولَ الله ﷺ جبريلَ (ليلة الإسراء) له ستُّمائةِ جناح، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب)[1].

ومن قوة جبريل عليه السلام، أنه اقتلع جبل الطور، ورَفعه فوق رؤوس (بني إسرائيل) حتى صار كالمظلّة عليهم، بأمر الله عزّ وجلّ، حين امتنعوا عن العمل بأحكام التوراة، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة: ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧١]

وحين أراد الله إهلاك قوم لوط، وقلْبَ ديارهم بهم، بعث جبريلَ عليه السلام، فاقتلع قُراهم من قرار الأرض ـ وكانوا سبعة قرى ـ ثم احتملها بجناحه، ثم رفعها إلى عَنان السماء، ثم قَلَبها عليهم، وهم (المؤتفكة) الذين انقلبت بهم ديارهم، وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود، وجعل مكانها بُحيْرةً خبيثة منتنة، كما قال عزّ شأنه: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].

بغضُ اليهود الشديد لجبريل عليه السلام

اليهود يكرهون جبريل على وجه الخُصوص أشدّ الكُرْه، ويعادونه معاداة شديدة بسبب رفع (جبريل) عليه السلام جبلَ الطُّور عليهم، وتهديدهم بإلقائه عليهم إن لم يُطبّقوا أحكام التوراة، وفيهم يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨].

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري في صحيحه.

قصّةُ اليهود مع رسول الله ﷺ

رُوي أنّ بعض زعماء اليهود، جاءوا إلى رسول الله ﷺ لامتحانه، فقالوا يا محمد: إنّا نسألك عن خمسة أمور، إن أنت أجبتنا عنها، عرفنا أنك نبيٌّ، فآمنّا بك، وصدّقناك واتّبعناك!!

فقال لهم ﷺ: سَلُوا عمّا بدا لكم!!

- فسألوه عن علامة النبيّ؟

قال: تنام عيناه، ولا ينام قلبه!! قالوا: صدقتَ!!

- وسألوه عن المرأة تأتي بالذكر، أو تلِدُ بالأنثى، كيف يكون ذلك؟

قال: إذا علا ماءُ المرأة ماءَ الرجل ـ أي غلب ماؤها على ماء الرجل ـ أنثتْ بإذن الله تعالى ـ أي ولدت بأنثى ـ وإن علا ماءُ الرجل ماءَ المرأة، أذكرتْ بإذن الله تعالى ـ أي ولدت بالذكر ـ قالوا: صدقت!!

- ثم سألوه عمّا حرّم إسرائيل على نفسه؟

فأجابهم ﷺ بما هو مذكورٌ عندهم في التوراة، وبما هو مذكور في القرآن: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ [آل عمران: ٨٣].

- وسألوه عن الرعد وصوته كيف يحدث؟ فأخبرهم ﷺ عن ذلك، قالوا: صدقتَ!!
- وبقيت واحدةٌ نتابعك إن أخبرتنا عنها!؟ قال: سَلُوا!!
- قالوا: **من يتنزّلُ عليك بالوحي من الملائكة؟**

قال: **(جبريل) عليه السلام! قالوا: جبريلُ ذلك عدوُّنا**، ينزل بالحرب، والقتل، وتخريب الديار، لو قلتَ: (ميكائيل) الذي ينزل بالخِصب، والرحمة، والمطر، لاتّبعناك[1]!! فأنزل الله هذه الآية الكريمة:

(١) تفسير الحافظ ابن كثير (سورة البقرة).

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨].

❁ ❁ ❁

وظائف الملائكة عليهم السلام

إنَّ الملائكة الروحانيّين، هم جنود اللّه المسخّرة، لتنظيم أمور الكون والخَلْق، لا يعلم عددَهم إلّا اللّهُ تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

ولهم وظائفُ مخصوصةٌ معيّنةٌ، لا يخرجون عنها، ولا يقصّرون في أدائها، لأنهم جنودٌ مسخّرون بأمر اللّه تعالى كما قال سبحانه عنهم: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

١ ـ فمنهم الموكّل بالوحي والشرائع كجبريل عليه السلام.

٢ ـ ومنهم الموكّل بالأرزاق، والأمطار، والخيرات، كميكائيل عليه السلام.

٣ ـ ومنهم الموكّلون بالزلازل، والصّواعق، والفيضانات.

٤ ـ ومنهم الموكّلون بالأعمار، والآجال.

٥ ـ ومنهم الموكّلون بالمحافظة على الخلق من شرّ الشياطين.

٦ ـ ومنهم الموكّلون بالأرحام لتصوير الأجنّة فيها.

٧ ـ ومنهم المستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين.

٨ ـ ومنهم الموكّلون لحمل العرش العظيم.

٩ ـ ومنهم المتفرّغون للعبادة، للتسبيح، والتحميد، والتمجيد.

١٠ ـ ومنهم الموكّلون بكتابة أعمال البشر.

وهكذا لكلّ فريقٍ من الملائكة عملٌ ومهمّة، يؤدّونها على أكمل الوجوه:

- **قال اللّه تعالى في بيان وظائف بعض هؤلاء الملائكة الأبرار الأطهار، معرّفاً بأعمالهم، وأحوالهم، وأطوارهم:**

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا ...﴾ [غافر: ٧] فهؤلاء المسبّحون المستغفرون للمؤمنين.

● **قال تعالى عن الملائكة المكلَّفين بكتابة أعمال البشر** ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الإنفطار: ١٠ ـ ١٢].

● **وفي معرض الحديث عن الملائكة الذين يحافظون على البشر**، يقول تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ...﴾ [الرعد: ١١].

أي للإنسان ملائكة تتعاقب في حفظه، كالحرس في الدوائر الحكومية، يحفظونه من الأخطار، والمضارّ، في الليل والنهار، بأمر الله وتدبيره.

قال مجاهد: (ما من عبدٍ إلّا وَمَلَكٌ موكّل به، يحفظه في نومه ويقظته، من الجنّ، والإنس، والهوامّ)[1].

ملائكة الرحمة وملائكةُ العذاب

● **وهنالك ملائكةُ الرحمة، وملائكةُ العذاب**، وفيهم يقول تقدست أسماؤه: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ١ ـ ٥].

قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ هذا قَسَمٌ من الله تعالى بالملائكة الأبرار، ملائكة العذاب التي تنزع أرواح الكفار، بشدة وعُنف، نزعاً بالغ الشدة، حتى كأنّ روحَ الكافر، تخرج من ثُقب إبرة.

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ قَسَمٌ آخرُ بملائكة الرحمة، التي تنزع أرواح المؤمنين، برفقٍ وليِن، كما يُنشط العِقالُ عن البعير، وكما تُسلُّ الشعرةُ من العجين، والنَّشْطُ: الأخذُ برفقٍ ويُسْر، بخلاف النَّزْع، فإنه يكون بشدّةٍ وقسوة.

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾ الملائكة التي تنزل من السماء مسرعين، كالفَرَس الجواد إذا أسرع في جريه، تنزل بسرعة لتنفيذ أمر الجبّار، كأنها تسبح سباحة في الفضاء.

﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ الملائكة التي تدبّر شؤون الكون، وأمورَ الخلق، في الرياح، والأمطار، والأرزاق، والأعمار، وغير ذلك من أمور الدنيا والدين، بأمر رب العالمين.!

---

(١) تفسير جامع البيان للطبري ٩/ ٣٥٤.

الملائكةُ المسبِّحون بحمد اللَّه

● **وأمَّا الملائكةُ المسبِّحةُ للهِ ربِّ العالمين**، المشغولةُ بذكر اللَّه وتقديسه وتمجيده، فيقول ربُّ العزَّة والجلال عنهم: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

أي لا يَملُّون ولا يسأمون، يسبِّحون اللَّهَ ليلَ نهار، لا يضعفون عن الذكر والتسبيح، بل هم في ذكر دائم، وتسبيح مستمرّ لا ينقطع.!

سُئل كعبُ الأحبار عن تسبيح الملائكة؟ فقيل له: كيف لا يفترون؟ أليس لهم شُغْلٌ أو حاجة؟

فقال للسائل: يا ابنَ أخي، جُعل لهم التسبيحُ، كما جُعِل لكم النَّفَسُ!!

ألستَ تأكل وتشرب وأنت تَتنفَّس؟ ألستَ تذهب وتجيء وأنت تَتنفَّس؟ فكذلك جُعل لهم التسبيح[1]!!

كم هو عددُ خزنةِ جهنَّم؟

أمَّا خزنةُ جهنَّم فهم من الملائكة، وعددُهم تسعةَ عشر مَلَكاً، نزع اللَّهُ من قلوبهم الرَّحْمةَ بالكافرين، طباعُهم غليظة، وتركيبُهم في غاية الشدَّة والفظاظة، ومنظرُهم مفزعٌ مزعج، قال تعالى عنهم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

أمَّا الحجارةُ التي أشارت إليها الآية الكريمة، فهي حجارةٌ من كبريتٍ، أنتَن من الجيفة، ولقد وُكِّل بجهنم زبانيةُ غلاظ القلوب، أقوياءُ الأجسام، يدفعُ الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفاً في النار، لا يرحمون إذا استُرحموا، لأنهم خُلِقُوا من الغضب، وحُبِّب إليهم العذابُ، كما حُبِّب لبني آدم الطعام والشراب[2]!!

---

(١) انظر تفسير الحافظ ابن كثير ٣/ ١٦٧.

(٢) التفسير الواضح الميسَّر ص١٤٣٧.

وملائكةُ العذاب كثرةٌ كثيرة، يرأسهم مَلَكٌ اسمه (مالك) عليه السلام ويُسمّون (زبانية جهنم) وعددُهم (١٩) مَلَكاً، وقد ذُكر عددهم في التوراة، كما ذُكر في القرآن، ابتلاءً وامتحاناً، وفيهم يقول تقدست أسماؤه:

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ • لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ • لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ • عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٢٦ ـ ٣٠].

❁❁❁

استهزاءُ أبي جهل بالعدَد من الملائكة

ولمّا نزلت هذه الآيات الكريمة في حقّ (الوليد بن المغيرة) قال أبو جهل اللعين لقريش: أسمعُ ابنَ أبي كبشة ـ يريد محمداً ﷺ ـ يتوعّدنا بأنّ خزنةَ النار تسعة عشر، وأنتم الشجعانُ المغاويرُ: أيعجزُ كلُّ عشرة منكم، أن يبطش بواحد منهم!؟

- **ثم قال لهم**: أنا أكفيكم سبعة عشر، فاكفوني أنتم منهم اثنين!!

يقول ذلك سخريةً واستهزاء، فأنزل الله عزّ وجلّ، ردًّا على ذلك الطاغية الفاجر ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا . . .﴾ الآية [البقرة: ٣١].

- إنّ خزنة جهنم ليسوا من البشر، حتى يصارعهم ويصارعونه، إنّهم ملائكةٌ غلاظٌ أشدّاء، لو اجتمع أهل الأرض جميعاً، على مقاومة واحدٍ منهم لم يستطيعوا، وقد بَلَغَ من قوّة أحدهم، أن يحمل الجَبَل بكفّه، فكيف يمكن التغلّب عليهم؟ وكيف تُمكِنُ مصارعتُهم!؟
- وما جعل اللّه عددهم (١٩) تسعة عشر، إلا فتنةً للكفار الفُجّار، ليروا عددهم قليلاً، فيهزءوا ويسخروا منهم، حتى قال بعضهم: كيف يمكن لهذا العدد القليل، أن يعذّب جميع أهل النار!؟
- وقال أبو جهل مستهزئاً: أنا أكفيكم سبعة عشر، فاكفوني أنتم اثنين منهم.!
- كما أنّ الغايةَ من ذكر هذا العدد (١٩) تسعةَ عشر أن يتيقّن أهلُ الكتاب، من صدق محمد ﷺ، وأنّ هذا القرآنَ من عند اللّه، حيث يجدون هذا العدد في كتبهم المنزّلة، فيعرفون صدق هذا الخبر.!

الملائكةُ لا يُحْصون عَدَداً

إنّ عدَدَ الملائكة لا يعلمُه أحدٌ من الخلق، إلا اللّهُ ربُّ العالمين ﴿وَمَا يَعْلَمُ

جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ وقد أخبرنا الصَّادقُ المصدوق ﷺ، أن السماء لا يوجد فيها مكان فارغ، إلا وفيه مَلَكٌ ساجدٌ لله رب العالمين، وأنّ (البيت المعمور) الذي هو في السماء السابعة، يدخله كلّ يوم سبعون ألف مَلَك، ثم لا يعودون إليه من كثرتهم[1]..!

روى الإمام الترمذي في سننه عن النبي ﷺ أنه قال:

(إني أرى ما لا تَرَوْنَ، وأسمعُ ما لا تسمعون، أطّت السّماءُ، وحُقّ لها أن تئطّ ـ أي صار لها صوت وثقل من كثرة الملائكة ـ ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ، إلّا ومَلَكٌ واضعٌ جبهتَه، ساجداً لله تعالى)[2].

وفي حديث آخر رواه الحافظ الطبراني عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

(ما في السموات السَّبْع موضعُ قدَم، ولا شبر، ولا كفّ، إلّا وفيه مَلَكٌ قائمٌ، أو مَلَكٌ ساجد، أو مَلَك راكع، فإذا كان يومُ القيامة قالوا جميعاً: (سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك، إلّا أنّا لم نُشرِكْ بكَ شيئاً[3])!!

ومن هنا نعلم أن وظائف الملائكة، تتنوّع حسب أنواع الموجودات في الكون، وعبادتُهم في غاية الانتظام والكمال، ولا يخرج أحد منهم عن الأوامر الإلهية، كما قال سبحانه: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧].

وكما تتنوّعُ وظائفُ الدولة في الدنيا، كذلك تتنوّعُ وظائف الملائكة في عالم الملكوت، ينفّذون أوامر الله، طلباً لرضوانه، وتقرباً إليه، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩، ٥٠].

الكونُ كلُّه في سجود لله، وطاعةٍ وانقياد، بكلّ ما يحويه من (إنسانٍ،

---

(١) الحديث رواه مسلم في حديث الإسراء، وفيه (ثم رُفع إليّ البيتُ المعمور فإذا هو يدخله كلّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه) أي من كثرتهم.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه.

(٣) أخرجه الحافظ الطبراني.

وحيوانٍ، وجبال، وأنهار، وأشجار) كلُّها تخضع لعظمة الله وجلاله، وتسبِّح بحمده، وهي منقادة خاضعة لأمر الله، كلُّها في مقام خشوع وخضوع، وفي مقدِّمتهم الملائكةُ الأبرار الأطهار، الذين يخافون ربهم، ويفعلون ما يُؤمرون.!

هؤلاء الجنودُ من الملائكة، المتوكِّلون بأعمال البشر، ليس بمقدورهم المعصية، إنما خُلقوا للعبادة والطاعة ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ذلك لأن الله تعالى خَلَقهم، ليكونوا كالجُنْد والحَرَس، لتنفيذ أوامرِ اللهِ، في هذا الكون البديع.

وقد نوَّع اللهُ جلَّ جلاله المخلوقات، وجعلهم ثلاثة أصناف:

١ ـ صنفٌ روحاني، خلقهم اللهُ، ونَزَع منهم الشهوةَ، فليس فيهم استعداد للمعصية، وهم (الملائكة الأبرار).

٢ ـ وصنف خلقهم اللهُ، وركَّب فيهم (العقل) و(الشَّهْوة) وهم البشرُ المكلَّفون الذين عندهم الاستعداد للطاعة والمعصية.

٣ ـ وصنفٌ آخر خلقهم الله وركَّب فيهم (الشهوة) دون العقل، وهم البهائم والحيوانات، وهم غير مكلَّفين لعدم وجود العقل.

❁ ❁ ❁

الفرقُ بين الملائكة والجنّ

أولاً: عَرَفْنا أنَّ الملائكةَ أجسامٌ (نورانيّةٌ روحانية) لا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينامون، ولا يتناكحون، ولا يتناسلون، قادرة على التشكل بأيّ صورة شاءوا، ولا تحكم عليهم الصورة، بمعنى أن المَلَكَ لو تمثّلَ بصورة إنسان، أو بصورة طيرٍ، أو صورةِ غزّال، فقتلنا هذا الإنسان أو الغزال، لا يموت المَلَكُ، لأنَّ هذه (هيئةَ المَلَك)، وليس هو المَلَك نفسُه!

بينما الجنيُّ تحكم عليه الصورةُ، أي يأخذ حكمها، فلو تصوَّر الجنيُّ بصورة إنسان، أو ثعبان، فقتلناه، يُقتل الجنيُّ نفسُه، هذا هو الفارق الأول.

ثانياً: الملائكةُ والجنُّ من عالَم لطيفٍ غير كثيف، إنهم من عالم (الروحانيات) فأصلُ خلْقِ الملائكة النُّورُ، وأصلُ خلْقِ الجنّ النّارُ.

كما قال تعالى عن الجنّ: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧].

وقال عن إبليس: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] هذا هو الفارق الثاني.

وفي الحديث الشريف: (خُلقت الملائكةُ من نور، وخُلقت الجانُّ من مارج من نار، وخُلِقَ آدمُ ممّا وصَفَ لكم ربُّكم)[1] أي من تراب.

ثالثاً: الملائكةُ ليس فيهم (ذكور) ولا (إناث)، لا يتناكحون ولا يتناسلون، وليس لهم ذرية من بنين ولا بنات.

أمّا الجنُّ فإنهم مثلُ الإنس، فيهم ذكورٌ وإناثٌ، يتناكحون، ويتناسلون، ولهم نسلٌ وذرية، هذا هو الفارق الثالث.

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند.

حكاية لطيفة للإمام الشعبيّ

يُحكى أن الإمامَ الشعبيّ سُئل ذات يوم، فقيل له: هل لإبليسَ زوجةٌ؟ فقال للسائل: ذاكَ عرسٌ لم أشهده!؟ وبعد أن انصرف السائلُ، أخذ يفكّر في الأمر، يا تُرى هل كان لإبليس زوجة!؟

ثم رَجَع يقرأ القرآنَ من بدايته بإمعان، حتى وصلَ إلى سورة الكهف، في قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا . . .﴾ [الكهف: ٥٠].

قال: فعلمتُ أنه لا يكون له ذُرِّيَة، إلّا وله زوجة!! فلمّا رجع السائل إليه، قال له: نعم له زوجة، وتلا عليه الآية الكريمة.!

رابعاً: **الملائكة خُلقوا للطاعة والعبادة،** وليس بمقدورهم المعصيةُ، لعدم وجود الشهوة فيهم، فهم عبادٌ (روحانيون) خُلّصٌ، لا يقع منهم مخالفةٌ ولا معصية، كما أخبر جلّ ثناؤه عنهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

أمّا الجنُّ فتقع منهم المعصية، لوجود الشهوة فيهم، فإنهم وإن كانوا أرواحاً لطيفة غير كثيفة، إلّا أنهم مثلُ بني آدم، تحدث منهم المعاصي والمنكرات، ويقع منهم الطغيان والفجور، فرئيسهم (إبليس) عَصَى أمرَ اللّه، وهذا برهان ساطع، على أن إبليس لم يكن من الملائكة، وإنّما كان من الجنّ، ولو كان من الملائكة لم تقع منه معصية.!

ويكفي برهاناً على أنه من الجنّ، قولُ اللّه عزّ وجلّ: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠].

وهذا هو الفارق الرابع بين المَلَك والجنيّ، فالجنُّ مخلوقون، مكلّفون كالإنس، فيهم المؤمنُ والكافرُ، والمطيعُ والعاصي، يدخلُ المؤمنون منهم الجنّة، والكافرون يدخلون النار، كما قال تقدست أسماؤه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

كلمةٌ توضيحية حول الاعتقاد بالجنّ

- **الجنّ خَلْقٌ من مخلوقات الله عزّ وجلّ**، يجب الإيمان بهم، كما يجب الإيمان بالملائكة، وهم أجسام لطيفة، يختلفون في الهيئة والشكل عن الملائكة، كما يختلفون عن الإنس.
- **أصلُ خلقتهم من النار**، وهم مكلّفون كالإنس بالتكاليف الشرعية، كما قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠].
- **الجنّ فيهم المؤمنُ، وفيهم الكافر، وفيهم البرّ وفيهم الفاجر**، وبعضُ الجنّ نفوسُهم خيّرة كريمة، محبّةٌ للخيرات والطاعات، وبعضُهم نفوسُهم خبيثة شرّيرة، محبّةٌ للشرور والمنكرات.
- **فالمؤمنون منهم يدخلون الجنة**، وهم الذين أطاعوا الله وآمنوا برسله، والكافرون منهم يدخلون جهنم، ويُسمّون (الشياطين).

قال تعالى عن العصاة من الجنّ والإنس: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

- **ومن عجيب أمر الجنّ أنهم يبصروننا، ونحن لا نبصرُهم**، ويعرفون أحوالنا، ونحن لا نعرف شؤونهم، لأنهم بالنسبة لنا من (الأمر الغَيْبيّ)، الذي لا تدركه الأبصار، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] أي يرونكم وأنتم لا ترونهم.

والبشرُ بالنسبة للشياطين، وعلى رأسهم إبليسُ، ثلاثةُ أصناف:

١ ـ صنفٌ عَصَمهم اللّهُ من شرّهم، فلا تستطيع الشياطينُ فتنتَهم وإغواءَهم، وهم الرسلُ والأنبياء الكرام، لأن الله تعالى أخلصهم لنفسه، ولهذا استثناهم إبليسُ من القَسَم، حين حَلَف على إضلال البشر ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠].

٢ ـ وصنفٌ تحوم حولهم الشياطينُ، ويبذلون جهدهم لفتنتهم وإغوائهم، فإذا وقعوا في المخالفة والمعصية، ألهمهم اللّهُ التوبةَ والإنابةَ، فتابوا ورجعوا إلى اللّه، فيمحو اللّه سيئاتهم، وهم عامةُ المؤمنين.!

٣ ـ وصنفٌ هم في أيدي الشياطين، يتلاعبون بهم كما يتلاعب الصِّبيان بالكرة، وهم الكفّارُ الفجّار، أتباع إبليس اللعين، الذين قال الحقُّ جلّ جلالُه عنهم:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٢ ـ ٤٤]. اللهم نجّنا من شرّ شياطين الإنس والجن.

لماذا حُجب عنا رؤية الجن؟

● **وإنما حجَب تعالى رؤيتهم عنا، كما حجَب عنا رؤية الملائكة**، حتى نؤمن بالغيب الذي أخبرنا اللّه عنه، فأولُ شروط الاعتقاد، (الإيمانُ بالغيب)، وهو كلُّ ما غاب عن الأنظار، ممّا أخبر تبارك وتعالى عنه، (كأمر الجنّة، والنّار، ونعيم القبر وعذابه، وأمرِ الصّراط، والميزان، والكرسي، والعرش)، وسائر الأمور المغيّبة، كما قال تعالى في صفات المؤمنين الصادقين ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢، ٣].

فالإيمان بالملائكة، وبالجنّ واجبٌ، من أنكره انسلخ عن ربقة أهل الإيمان واليقين، ولن ينفعه عملُه يوم القيامة شيئاً، لأنه كذّب القرآنَ، وجحد أمراً أجمعت عليه الشرائع والأديان.!

❁ ❁ ❁

قصة طريفة واقعية

أسوق هذه القصة الطريفة للعظة والاعتبار، لتكون صفعةً للمنكرين للغيب.

دَخَلَ مدرِّسٌ شيوعيٌ على مدرسة (إعدادية) في إحدى المدارس وكان قد سمع طالباً يقول لرفيقه: كيف كذبتَ؟ لقد سجَّلتْ عليك الملائكةُ هذه الكذبة!!

أراد أن يقتلعَ من أذهان هؤلاء الطلاب البسطاء، فكرةَ الإيمانِ (بالملائكة وبالجن)، وفكرةَ الإيمانِ باللّه تعالى، لأنه لا يؤمن بوجود اللّه، ويعتنق العقيدةَ الشيوعية الملحدة، التي تقول: (لا إلٰهَ في الكون، والحياة مادة)، فبدأ مع هؤلاء الأطفال الصغار حديثه قائلاً:

(نحن جماعةُ عُقلاء، لا نؤمنُ إلّا بالملموس والمحسوس، فكلُّ ما نراه بأعيننا، ونلمسه بأيدينا، نؤمن بوجوده ونصدّقه!! وكلُّ ما غاب عنّا لا نؤمن به، ولا نصدّق بوجوده!!

ثم ضرب لهم مثلاً، رفع بيده كتاباً، فقال لهم: ما هذا؟ قالوا: كتاب، قال: هل أحد منكم ينكره؟ قالوا: لا، لأنّنا نراه ونلمسُه.

ثم رفع إليهم قلماً، ما هذا؟ قالوا: قلمٌ، هل أحد ينكر القلم؟ لا.

ثم سألهم: على ماذا تجلسون؟ قالوا: على المقاعد، هل أحد منكم ينكر المقاعد ويقول: أنا جالس على الأرض؟ قالوا جميعاً: لا!!

وهنا انتهى إلى النتيجة التي يريدها، قال لهم إذاً: كلُّ شيء ندركه بأبصارنا، ونلمسُه بأيدينا، نؤمنُ بوجوده، والآن هل رأى أحد منكم الجنَّ، أو رأى الملائكةَ؟ قالوا: لا، قال: إذاً فاتركوا هذه الخرافات التي ورثتموها عن جدّاتكم وأمهاتكم، وعن السُّذَّج من العوامّ، الذين يعتقدون بأمثال هذه الأساطير والخُزَعْبلات!!

قال لهم: فكّروا بمنطق العقل، لو كان شيءٌ منها موجود لشاهدناه بأعيننا، وأخذ بيديه ينفُضُ على كتفيه، يريد أن يطرد الملائكةَ، ويقول للطلاب ساخراً: لو كان هنا مَلَك على اليمين، ومَلَك على الشمال، لَمَا استطعتُ أن أمشيَ على رجليّ، لثقلهما على أكتافي، ولَمَا استطاع النَّاسُ أن يقوموا ويقعدوا ويتحرّكوا، هذه كلُّها خرافات ورثتموها عن جداتكم!

ذكاء خارق لأحد الطلبة

كان بين هؤلاء التلامذة، طالبٌ نبيهٌ ذكيٌ، رفع يده وقال: يا حضرةَ الأستاذ: أنا فهمتُ الدرسَ ووعيتُه!! وأريدُ أن أعيده على رفاقي، فهل تأذنُ لي؟ قال: تفضّلْ!!

وقف الطالبُ، وأخذ يقرّر لرفاقه، كما قال الأستاذ: بدأهم بقوله: نحنُ جماعةٌ عقلاءُ، لا نؤمنُ إلّا بالملموس والمحسوس.!

فكلُّ شيء نراه بأعيننا، ونلمسُه بأيدينا، نؤمنُ به، ونصدّق بوجوده، وإلّا فلا يصحُّ أن نؤمن بما لا نراه! ثم التفت إلى الأستاذ وقال له: يا أستاذي، أريد أن أسألك سؤالاً: هل أنت حيٌّ أم ميّت؟ هل أنت عاقل أم مجنون؟ فنَهَره المدرّسُ وقال له: ما هذا الكلام يا ولد؟ ما هذه الوقاحةُ وقلّةُ الأدب؟ تقول لأستاذك مثل هذا الكلام الوقح!؟

فقال له الطالب: أنت يا أستاذي قلت لنا: لا تؤمنوا إلّا بالملموس والمحسوس، هذه نتيجة درسكَ اليومَ، أرني (عقلك) حتى أصدّق أنك عاقل، وأرني (روحك) حتى أصدّق أنك حيٌّ، فأنا لا أومنُ إلّا بما يراه بصري، وتلمسه يديّ، وإلّا فسأحكم عليك بأنك ميّتٌ، ومجنون!!

ضجّ الطلاب فرحاً، وخرجوا من الفصل يقولون: المعلّمُ مجنون، المعلّمُ مجنون، وتعالت الأصوات في المدرسة: مجنون، مجنون، وشاع الخبرُ عند الأساتذة، وعند مدير المدرسة، وكُتب في حقّه محضر (ضبط) ففُصل من التدريس، ونُقل إلى وظيفة شاغرة في وظائف الدولة [1].

---

(١) هذه الحادثة وقعت في عهد الانتداب الفرنسي في بلد عربي، وقد أنطق الله هذا الطالب الصغير بالحجة الدامغة التي قصمت ظهر الباطل.

هل نرى كلَّ ما في الكون؟

إنَّ العقل في الإنسان موجود، ولكنه لا يُرى ولا يُدرك باللَّمس، وإنما يُعرف من آثاره، ونحن نحكم على الشخص أنه عاقل، أو غير عاقل، من تصرُّفاته، فإذا رأينا إنساناً يتكلَّمُ بكلامٍ في غاية الحسن، والمنطق السليم، حكمنا بأنه عاقل، مع أننا لم نر عقله.

وإذا رأينا شخصاً يَهْذِي في كلامه، فيسبُّ ويشتم الناس، وقد خرج عارياً بعد أن اغتسل في الحمَّام، ويزعم أنه أعقلُ الخلق، وأنَّ الناس كلهم مجانين، ألَا نحكم عليه بأنه مجنون؟

والروحُ كذلك موجودة في الإنسان، ولكنَّنا لا نراها ولا نحسُّ بخروجها عند الموت، لأنها من عالم الغَيْب، الذي لا يُرى، وإنما تُرى آثارها في حركات الإنسان وتصرفاته ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وحسبُ الإنسان عجزاً أن لا يعرف ما في بدنه، ألَا وهي (الروح) التي تسري في عروقه، وتُحرِّك هذا الجسد، وهي أقرب شيء إليه!! لا يدري عن الروح ما هي؟ ما حقيقتها؟ كيف تتولَّد في الجسم؟ لا يعرف كيف جاءتْ، ولا كيف ذَهَبَتْ، ولا إلى أين تصير!؟ فكيف له أن يحيط بعلوم هذا الكون؟ وكيف له أن يعرف ما يحويه من المغيَّبات؟!

قصة البدويّ مع البعير

كان فلَّاحٌ يسير في الصحراء، ومعه بعيرُه، وعلى الجمل حملٌ ثقيل من الحطب، يريد أن يصل به إلى سوق المدينة، ليبيعه ويستفيد من ثمنه، فينفقه على أهله وأولاده..!

وبينما هو جاهد في مسيره، والجملُ أمامه يسعى، بقوة وعزم، إذ سقط الجملُ ميتاً، وعلى ظهره (الحِمْلُ الثقيل)، فجلَسَ الفلَّاحُ حزيناً، يفكِّر في ذلك المصاب الذي نزل بالجمل، وكيف سيفعل بحمل الحطب؟

مرَّ به بعضُ الأعراب، فرآه جالساً في الطريق، وفي وجهه الحزنُ والكآبة، فقالوا له: لا تحزن، الحمدُ لله على سلامتك، رافقْنا في سفرنا،

ونحن نؤمّن لك الوصولَ إلى البلدة، ونساعدُكَ في حمل الحطب على دوابنا!

نظَرَ إليهم ثمّ قال لهم: أنا لستُ حزيناً على البعير، إنما أنا أفكّرُ في الأمر العجيب الغريب، الذي شغل بالي!؟ قالوا: وما هو؟ قال: الجملُ كان يحمل هذا الحِمْلَ الثقيل، (الجملُ) أمامي لم ينقُصْ منه شيءٌ، والحطبُ الذي كان يحمله لم ينقُصْ منه شيءٌ، فمن كان يسيّر الإثنين (الجملَ، والحطبَ)!؟ قالوا له: الروحُ بلا شكٍّ، فقال لهم: أين هي الروح؟ وما هي طاقتها وقدرتها؟ هذا الذي شَغَلَ بالي، وهو الذي أفكّر فيه!!

كانت هذه لفتةً عجيبة، من هذا البدويّ البسيط، لم يفكّر فيها أنبغُ النُّبغاء، من فلاسفة عصرنا الحديث!!

أمثلة واقعية لحقائق لا تُرى بالعين

إنّ الجراثيم ـ الميكروبات ـ التي تحيط بنا من كل جانب، والتي تغشى أجسامَنا، وطعامَنا، وغذاءنا، وكلَّ ما حولنا من مأكل، ومطاعم، ومشارب، نحن لا نراها بأعيننا، ولكنّ نؤمن بوجودها، لِمَا نرى من آثارها، في الأمراض التي تحدثها في أجسادنا.

فالطبيبُ عندما ينصح النّاس أن لا يشربوا اللّبن ـ الحليب ـ إلّا بعد غَلْيه على النار، وأن لا يأكل أحدٌ الخضارَ، إلّا بعد غسلها جيداً بالماء، للتخلُّص مما فيها من جراثيمَ تؤذي البدن!!

هل نتّهمه في مهنته؟ هل نقول: إنه يكذب ويضحك علينا، لأننا لا نرى ما يخبرنا عنه!؟

وإذا قال فلّاح بعيد عن الحضارة، إن هذا الطبيب مجنون، أين هذه الجراثيم في الحليب النقيّ الصافي؟ وأين هذه الميكروبات في الخضار الشهيّة، والمطاعم اللذيذة التي نأكلها؟ هل نقبل كلامه، أم كلامَ الطبيب الذي رأى بعينيه هذه الجراثيم تحت المجهر؟

إنّ كثيراً من الأمراض التي تصيبنا، وتهدّد حياتنا، إنما هي أثرٌ لجرثومة دخلت أمعاءنا، ففتكت بأجسامنا من حيث لم نرها، ولم نشعر بدخولها، ولكنّ الطبيب الذي شخّصها ورآها، هو الذي أخبرنا عن سبب المرض، فهل نضرب بقوله عُرْضَ الحائط، ونرميه بالجهل والغباء، أم نقبل بقوله ونصدّقه!؟

فيروس مرض الإيدز الخطير

ومَرَضُ (الإيدز) هذا المرضُ الخبيث الخطير، الذي لم يعرف الأطبّاءُ له علاجاً حتى الآن، أليس سببُه (فيروس) يدمّر جهاز المناعة في الإنسان، ويقضي على حياته، فهل رأينا هذا الفيروس بالعين؟ أم ننكر وجوده ونقول: هذا من الخزعبلات والأساطير؟

أفيليق بالإنسان العاقل الحصيف، أن يلغي من كيانه ووجدانه، كلّ خصائص الإنسانية؟ بما فيها (العقل) الذي ميّز الله به الإنسانَ عن الحيوان، ويقف كالبهائم والأنعام عند حواسّه الظاهرة؟ فلا يُسلّم إلّا بما تُقدّم له هذه الحواسُّ من مشاهدات، حتى يؤمن ويقرّ بوجودها!؟

علماءُ الكونِ والطبيعة يعترفون بالعجز

إنّ العلماء الماديّين، عُلَماء الطبّ، وعُلَماء الكون، وعلمَاء الطبيعة، مع كل ما توصّلوا إليه من مكتشفات، يعترفون بأن كلّ ما لديهم من علوم، إنما هي قطرات من بحور (عَالَم غَيْبي)!؟ بدليل تجدُّد المعارف والمكتشفات، التي تَظهر لهم يوماً بعد يوم!! وصدق الله حيث يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

إنّ هؤلاء الملاحدة، الذين ينكرون وجود الله لأنهم لم يروه، لا نتّهمهم بالبَلاهة والغَباء، وإنما نرميهم بالجنون والسَّفَه، فهم لا يستعملون عقولهم للوصول إلى الحقائق القطعية، وإنما يتصوّرُونَ صوراً خياليّة، هي من وساوس الشيطان، فيقولون: لو كان الله موجوداً لرأيناه، كما نرى الشمسَ والقمر، ولهم أسوة بأسلافهم من عبدة الأوثان، الذين قالوا لرسول الله ﷺ: أرنا ربّك الذي أرسلك إلينا، حتى نؤمن برسالتك ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١].

ولهم قدوة باليهود عُمْي القلوب والبصائر، الذين قالوا لنبيّهم موسى عليه السلام: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥] أي لن نصدّق برسالتك حتى ترينا ربّنا عَلَناً وجهاراً.!

❁❁❁

اللّهُ لا يُرى بالعين إنّما نعرفه من آثاره

إنَّ اللّه تبارك وتعالى ليس من جنس البشر، حتى نراه في الدنيا بأعيننا، ولكنه سبحانه كشف لنا الأستار عن وجوده، بالآثار التي خلقها وأبدَعها، في هذا الكون الفسيح ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

وأمرنا بالنظر إليها والتفكير فيها، لنستدلَّ بالمخلوق على الخالق، وبالصَّنْعةِ على الصانع ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

ألا تكفي هذه المخلوقات المنتشرة في الكون، على وجوده سبحانه؟ (الإنسانُ، والحيوانُ، والنباتُ، والشجر، والشمس، والقمر) كلُّ هذه من مخلوقات اللّه، ألا تدلُّ على الصّانع المبدع الحكيم؟ ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: ١١].

لقد لَفَتَ القرآن الكريم أنظارَنَا إلى مخلوقاته، فقال لنا:

هذه مخلوقاتُ اللّه تعالى ماثلةٌ للعَيَان، فأخبروني ماذا خلقت الأوثانُ والأصنامُ، التي عبدتموها من دون اللّه؟ وماذا خلق من عبدتموهم من البشر، كالمسيح، وعُزير؟ وهو سؤال فيه (السُّخْرية والتهكُّم) بالمشركينَ، وآلهتهم المزعومة.!

❁ ❁ ❁

قصةٌ رمزية بديعة

وإلى عُمي القلوب الذين لا يؤمنون إلّا بالملموس والمحسوس، أسوقُ هذه (القصة الرمزية) حول الأمور الغيبية، التي يدركها الذكيُّ والغبيُّ، والعالمُ والجاهل، لنستمع إلى هذه القصة.!

(دخل اثنان إلى مصنع كبير، فيه آلاتٌ كثيرة في غاية الدقة والإبداع، تدور هذه الآلاتُ بالطاقة الكهربائية، ولم يكن في المصنع أحدٌ من المسؤولين والعُمّال، ثم اهتديا إلى مفاتيح تشغيله، فإذا بآلاته تتحرك بانتظام، وتُنتِجُ منتجاتٍ نسيجيّة بديعة، تكاد تُدهش الأبصار.!

قال أحدهما لصاحبه: إنَّ صانع هذا المصنع، مهندسٌ بارع، وعبقريٌّ لامع، ذو مَهارةٍ فائقة، ومَلَكةٍ عقلية مبدعة، ولا شك أنه ذو معرفةٍ بأصول (الطاقة الكهربائية) التي تحرّك هذا المصنعَ، كما هو عالمٌ بفنّ الاختراع، لذلك أتقنَ صناعةَ هذا المعمل، بهذا الإحكام والإتقان!!

قال الآخر لصاحبه: أخطأتَ يا صاحبي، فليس هذا المصنعُ من إبداع مهندس، ولا من اختراع أحد، فليس بمقدور البشر، أن يأتوا بمثل هذا المصنع، بهذا (الإحكام والإتقان)، فإنهم أعجز من أن يصنعوا مثل هذا النموذج الخارق، هل ترى مثله في القرى والأرياف التي نعيش فيها!؟

قال له صاحبه: يا عجباً ممّا تقول وتتكلم!! كيف إذاً وُجد هذا المصنعُ الذي يُخرج هذه المنسوجات الرائعة، بهذا الإتقان المدهش؟

حديثُ المُنْكِرِ لمُهَندس المَصْنع

فأجابه صاحبه: لا تعجبْ يا صديقي، لقد كان هنا جبلٌ من حديد، تعلوه طبقةٌ صخريةٌ صُلبة، وتتخلّله أتربةٌ ورمال، مرّت عليه ملايين السنين، وكانت الرياحُ العاصفةُ، تنحتُ من هذا الصّخر، وتمرُّ عليه السيولُ الجارفة، فتجرف عنه الرمالَ والأتربة، ثم بتأثير الحرارة، والضغوط الجوية، تشكّل حديدُه وظَهر، وبفعل أحداثِ الطبيعة التي لا عقل لها ولا إرادة، نشأ هذا

(المصنعُ المتقن)، وبطريق (المصادفة) أخرج هذه المنسوجات البديعة.!

لم يتمالك صاحبه نفسه، فانطلقت منه ضَحِكاتُ سُخْرِيةٍ عجيبة، استغرق فيها طويلاً من الزمن، قال له صديقه: لماذا تضحك هذه هي الحقيقة؟!

تخاصَمَا وتجادلا وارتفعت أصواتُهُما، وأخذ مدّعي المصادفة، المنكرُ لوجود مهندسٍ للمصنع، يسبُّ ويشتم، ويتّهِمُ صديقَهُ بالغَباء، وقلّةِ العقل، والتعلّقِ بأمورٍ غيبية، غير مرئية ولا مشاهدة.!

وبينما هما يختصمان، إذْ دخل عليهما مالكُ المصنع، الذي هو صانعُه ومهندسُه، وكان قد سمع كلامهما من (مسجِّلٍ صوتيٍّ)، في غرفةٍ نائية عن المصنع، وسمع حوارهما.!

أمّا المعترف بمالك المصنع، ومهندسه وصانعه، فقد استضافه في قصره العظيم، وكرّمه ونعّمه.

وأما الجاحد المنكر لمالكه وصانعه. فقد طَرَده من القصر، وأبعده عن مملكته، فهام على وجهه في الصحارى والقفار)[1].

مثلٌ للمؤمن بالخَالِق والمُنْكر لوجوده

هذا مَثَلٌ لمن أثبت وجودَ الخالق المبدع الحكيم، فأثبت وجوده بالمنطق العقلي السليم، ولمن أنكر وجود الله، ونَسَب ذلك إلى (المصادفة البلهاء)، وإلى (الطبيعة العمياء) البكماء الصّماء!!

إنَّ المؤمنين والكفّار جميعاً، يعيشون في (المملكة الإلهية) الواسعة، فمن اعترف بوجود مالكٍ للكون، أكرمه اللّهُ وقرّبه، ومن جحد وجوده، أهانه الله وأبعده، وعلى هذا الأساس يُبْنَى الثوابُ أو العقابُ.

وهكذا يريد الملحدون بالله، الخالقِ المبدع الحكيم، أن ينسبوا هذا الإتقان في الخلق والتدبير، إلى الطبيعة البلهاء، وأنّ كلَّ ما يشاهده الناسُ، إنما أتى عن طريق (الصُّدفة) والتطور الذاتي، وأن ينكروا الخالق الذي أبدع نظامَ هذا الكون، على أكملِ وجهٍ، وأحسن إتقانٍ وتدبيرٍ!!

---

(١) أصلُ هذه القصة من كتاب (براهين وأدلة إيمانية) للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني رحمه الله، مع شيء من التحوير.